

قال رحمه الله تعالى :

[فصل ؛ وأما كُتَّاب الوحي : فقد كتب له أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والزبير ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ومحمد بن مسلمة ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وأخوه خالد ، وثابت بن قيس ، وحنظلة بن الربيع الأسدي الكاتب ، وخالد بن الوليد ، وعبد الله بن الأرقم ، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه ، والعلاء بن عتبة ، والمغيرة بن شعبة ، وشرحبيل بن حسنة . وقد أورد ذلك الحافظ أبو القاسم في كتابه أتم إيراد ، وأسند ما أمكنه عن كل واحد من هؤلاء إلا شرحبيل بن حسنة ، وذكر فيهم السجل ، كما رواه أبو داود والنسائي عن ابن عباس في قوله تعالى : { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ } [الأنبياء: ١٠٤] قال : هو كاتب كان للنبي ﷺ . وقد أنكر هذا الحديث الإمام أبو جعفر بن جرير في تفسيره وقال : لا يُعرف في كُتَّاب النبي ﷺ بل ولا في أصحابه أحد يسمى سجلاً . قلت : وقد أنكره أيضاً غير واحد من الحفاظ ، وقد أفردت له جزءاً وبيّنت طرقه وعلله ، ومن تكلم فيه من الأئمة ، ومن ذهب منهم إلى أنه حديث موضوع ، والله تعالى أعلم] .

ثم عقد رحمه الله هذا الفصل في ذكر كُتَّاب الوحي ، وذكر عدداً ممن عُرف عنهم كتابة الوحي المنزّل على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ومن جملة هؤلاء :

((أبو بكر وعمر وعثمان وعلي)) ؛ خلفاؤه الأربعة من بعده ﷺ ، وكلهم كان ممن يُحسن الكتابة وممن شارك في كتابة الوحي المنزل على رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه .
ثم ذكر رحمه الله تعالى عدداً من أصحاب النبي ﷺ ممن عُرف بذلك ومنهم ((زيد ابن ثابت)) وهو كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى كان ألزمهم لهذا الشأن وأخصهم به ﷺ ، وكثيراً ما كان يكتب لرسول ﷺ ما يتنزل عليه من وحي رب العالمين .

وكذلك ((معاوية بن أبي سفيان)) ؛ وهو ﷺ صحابي جليل له مكانته العلية ومنزلته الرفيعة ، ومن مآثره وفضائله أنه كان من كتّاب وحي رسول الله ﷺ ، ولهذا يُلقب في ترجمته بـ«كاتب وحي رسول الله ﷺ» ، وهو أخو أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ ، وكان يُطلق عليه لذلك «خال المؤمنين» ، وهذا الإطلاق - عليه أو على غيره - هو من باب إطلاق العبارة فقط لا من باب إثبات حكمٍ يتعلق بهذا الأمر ، وهذا الإطلاق شاع في عدد من كتب التراجم على اعتبار أن أخته رضي الله عنها وأرضاها زوجاً للنبي عليه الصلاة والسلام ، وأزواج النبي كلهن أمهات للمؤمنين كما قال ربنا جل شأنه : ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وهذا في إثبات الحرمة والمكانة والفضيلة والمنزلة لا في إثبات المحرمية.

ثم ذكر رحمه الله تعالى عدداً من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ممن عرفوا بكتابة الوحي ثم قال :

((وقد أورد ذلك الحافظ أبو القاسم - يعني ابن عساكر - في كتابه)) ؛ أي في كتابه «التاريخ» ، ومَرَّ معنا قريباً نقله عن ابن عساكر فيما يتعلق بموالي الرسول صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

قال : ((وأُسند ما أمكنه عن كل واحد من هؤلاء إلا شرحبيل بن حسنة ، وذكر فيهم - يعني في كُتّاب الوحي - السجل كما رواه أبو داود والنسائي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] قال : هو كاتب كان للنبي ﷺ)) ؛ قال أن السجل المذكور في قوله : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ هو كاتب للنبي ﷺ ، لكن هذا لا يصح ، بل عدّه العلماء كما سيأتي في قبيل الموضوع المكذوب . والسجل في الآية : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ وصفٌ للمطوي

لا للطاوي، فالمراد بالسجل أي الكتاب المكتوب ، وليس هذا وصفاً لمن يقوم بطيّه . والمعنى : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ﴾ أي كما يُطوى السجل ، لا أنَّ المعنى كما يطوي الطاوي السَّجَل .

قال : ((وقد أنكر هذا الحديث الإمام أبو جعفر ابن جرير في تفسيره وقال : لا يعرف في كتاب النبي ﷺ بل ولا في أصحابه أحداً يسمى سجلاً)) ؛ لا يُعرف في الكتاب ولا يُعرف أيضاً في أصحاب النبي ﷺ صحابياً يسمى السَّجَل ، فلا يصح تفسير الآية ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ﴾ بأن هذا اسم لصحابي كان يطوي الكتاب الذي فيه الوحي .

((قلتُ - القائل ابن كثير - وقد أنكره أيضاً غير واحدٍ من الحفاظ ، وقد أفردتُ له جزءاً وبيّنت طرقه وعلله ، ومن تكلم فيه من الأئمة ، ومن ذهب منهم إلى أنه حديث موضوع)) ؛ ومن ذهب إلى أنه حديث موضوع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فيما نقله عنه ابن القيم قال : " والسجل - أي في الآية الكريمة ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ﴾ - الكتاب المكتوب " .

قال رحمه الله :

[فصل (المؤذنون) ؛ كان له ﷺ مؤذنون أربعة : بلال بن رباح ، وعمرو بن أم مكتوم الأعمى . وقيل : اسمه عبد الله . وكانا في المدينة يتناوبان في الأذان . وسعد القرظ بقاء ، وأبو محذورة بمكة ، ﷺ] .

ثم عقد رحمه الله تعالى هذا الفصل في ذكر المؤذنين لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وفي الحديث الصحيح ((الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) وجاء في فضل التأذين والأذان أحاديث كثيرة صحّت عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . ففاز بهذا الخير وحاز بهذه المنقبة جماعة من الصحابة عقد المصنف رحمه الله تعالى هذا الفصل لذكرهم .

قال : ((كان له ﷺ مؤذنون أربعة : بلال ابن رباح)) ؛ وهو أول من أذن للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وكان ندي الصوت عالي الصوت وقد اختاره النبي عليه الصلاة والسلام مؤذناً له .

قال : ((وعمر بن أم مكتوم الأعمى وأيضاً يقال عبد الله)) ؛ اختلف في اسمه عمر أو عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى ، وقيل اسمه عبد الله . ولهذا في ترجمته في الإصابة ذكره الحافظ في الموضوعين ؛ يعني في عبد الله ولم يتكلم عنه بشيء قال : يأتي في عمرو ابن أم مكتوم ، وذكر الاختلاف في اسمه . وهو قرشي رضي الله عنه وأرضاه . وأم مكتوم اسم والدته عاتكة . ومّر معنا في المغازي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يستخلفه على المدينة في مغازيه صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جاء في ترجمته في الإصابة قال ابن حجر : " وكان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة في عامة غزواته يصلي بالناس " . ونقل عن الحافظ ابن عبد البر عن جماعة من أهل المغازي والسير : "أن النبي عليه الصلاة والسلام استخلفه ثلاث عشرة مرة " ، ومّر معنا كثيراً في مغازي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام "واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ﷺ" .

وكان ﷺ أعمى ، وهو الذي جاء أيضاً فيه قصة الرجل الذي جاء للنبي عليه الصلاة والسلام ويذكر أنه شاسع الدار عن المسجد ولا يجد من يلائمه في الطريق ، قال هل تجد لي من رخصة ؟ قال : ((أتسمع النداء ؟)) قال: نعم قال : إذاً أجب . وجاء في بعض الروايات ((لا أجد لك رخصة)) . إذا كان كفيفاً وليس معه قائد والبيت بعيد عن المسجد ويقول النبي ﷺ له : ((لا أجد لك رخصة)) ؛ فكيف بالصحيح القوي الذي بيته ملاصق للمسجد والأذان يخترق بيته " حي على الصلاة حي على الفلاح " ويبقى جالساً في بيته لا يجيب النداء!! والله المستعان .

قال : ((وكانا في المدينة يتناوبان الأذان)) ؛ أي : هو وبلال رضي الله عنهما وأرضاهما . قال : ((وسعد القرظ بقاء)) ؛ أي : كان مؤذن النبي عليه الصلاة والسلام بمسجد بقاء وهو مولى لعمار ابن ياسر ﷺ .

((وأبو محذورة بمكة)) كان مؤذناً لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه في مكة .

قال رحمه الله تعالى :

[فصل (في ذكر رسله إلى ملوك الآفاق) ؛ أرسل ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي بكتابه ، فأسلم ﷺ ونور ضريحه . ودحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل عظيم الروم فقارب وكاد ولم يسلم ، وقال بعضهم: بل أسلم ، وقد روى سنيّد بن داود في تفسيره حديثاً مرسلاً فيه ما يدل على إسلامه ، وروى أبو عبيد في كتاب الأموال حديثاً مرسلاً أيضاً فيه تصريح بعدم إسلامه . وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس فتكبر ومزق كتابه ﷺ فمزقه الله وممالكه كل ممزق بدعوة رسول الله ﷺ عليه بذلك . وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية ومصر فقارب ولم يذكر له إسلام ، وبعث الهدايا إليه ﷺ والتحف . وعمرو بن العاص إلى ملكي عمان فأسلما وخليا بين عمرو والصدقة والحكم بين الناس ، فرضي الله تعالى عنهما . وسليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي باليمامة . وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي ثمر الغساني ملك البلقاء من الشام . والمهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث الحميري . والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين فأسلم . وأرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل كليهما إلى أهل اليمن فأسلم عامة ملوكهم وسوقتهم] .

ثم عقد الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى هذا الفصل في ذكر رسل رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق، وهؤلاء الرسل بدأ عليه الصلاة والسلام ببعثهم وإرسالهم بعد صلح الحديبية ، ومّر معنا أن صلح الحديبية وما تم فيه من هدنة بين المسلمين والكفار كان يُعَدُّ فتحاً عظيماً وعلى إثره نزل قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [الفتح: ١] فكانت هذه الهدنة بين المسلمين والكفار يأمن بعضهم بعضاً ، ففي هذه الفرصة وفي هذه الأثناء بدأ نبينا عليه الصلاة والسلام يرسل الرسل إلى الملوك في الآفاق يدعوهم إلى الإسلام ويحثهم على الدخول في هذا الدين ، ومن المعلوم أن الملوك أمر عامتهم تبع لهم ، والناس على دين ملوكهم ، ومّر معنا في حوادث كثيرة في السيرة أنه عندما يُسلم سيّد القوم يُسلم قومه تبعاً له ، فإسلامه إن أسلم يفوز بخير عظيم حيث إنّ رعاياه في الغالب الأعم سيسلمون تبعاً له ، وإن لم يسلم باء

بإثم نفسه وإثم رعاياه ، مثل ما قال النبي عليه الصلاة والسلام لهرقل قال : ((فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ)) : أتباعه من النصارى .

وكان عليه الصلاة يخاطبهم جميعاً خطاباً رفيقاً يليق بمقامهم من ملك وعظمة وسلطة ورئاسة وزعامة ؛ "إلى هرقل عظيم الروم " ونحو ذلك من العبارات بعبارات لطيفة ، ولهذا كان عامة هؤلاء يتلقون كتاب النبي عليه الصلاة والسلام بالتقدير والتبجيل والاحترام ، ومنهم من أسلم ، ومنهم من يكاد أن يسلم ، ومنهم من يتردد ، ومن لم يُسلم منهم ردّها بلطف أو ردّ أيضاً بالهدية إلى النبي عليه الصلاة والسلام كما سيأتي معنا أمثلة لذلك ، ويندر من كان قد رد خطاب النبي ﷺ بفظاظة وقسوة وشدة إلا ما كان من كسرى فبلغ ذلك النبي عليه الصلاة والسلام فدعا عليه أن يمزق الله ملكه .

ثم هذه المكاتبات من جهة أخرى فيها دلالة على عموم الرسالة وأن النبي عليه الصلاة والسلام بُعث رحمةً للعالمين ، للعرب والعجم ، للإنس والجن ، فرسالته رسالة عالمية للجميع ، ولهذا لما هدأت الأمور واستتب الأمر داخل مهد الرسالة ومأرز الإيمان وموئل التوحيد بدأ عليه الصلاة والسلام بالنشاط الخارجي في دعوة الملوك إلى دين الله ﷻ فكان يكتب لهم كتباً ، ولما أراد أن يكتب لهرقل قيل له عليه الصلاة والسلام : إن الملوك لا يقبلون من الكتب إلا إذا كان عليه ختم من الكاتب . فاتخذ عليه الصلاة والسلام خاتماً وجعل عليه «محمد رسول الله» ، وكان يختم كتبه إلى الملوك بهذا الخاتم صلوات الله وسلامه عليه .

فالإمام ابن كثير رحمه الله عقد هذا الفصل لذكر هذه المراسلات ، وعرفنا أنها بدأت بعد صلح الحديبية ، وفي شهر محرم من العام السابع للهجرة بعث ﷺ ستة كلهم سيّهم بكتب في يوم واحد ، وجميع هؤلاء الستة ذكرهم الإمام ابن كثير رحمه الله وهم : عمرو بن أمية الضمري ، ودحية بن خليفة الكلبي ، وعبد الله بن حذافة السهمي ، وحاطب بن أبي بلتعة ، وسليط بن عمر ، وشجاع بن وهب . وبدأ ابن كثير يذكر خلاصةً عن كل واحد من هؤلاء الرسل ولم يتقصّ رحمه الله .

قال : ((أرسل ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي بكتابه فأسلم ﷺ ونور ضريحه)) ؛ النجاشي الذي كان في الحبشة أيام الهجرة والذي أحسن ضيافة المهاجرين وأحسن إيواءهم وأكرمهم واسمه أصحمة بمعنى العطية والسخاء والكرم هذا أسلم أول الأمر لما بعث

إليه النبي عليه الصلاة والسلام بالدعوة إلى الإسلام ، ولما مات نعه النبي عليه الصلاة والسلام إلى أصحابه وصلى عليه ﷺ في المدينة ، وكان أسلم وأخفى إسلامه عن قومه ﷺ . والذي كتب إليه النبي عليه الصلاة والسلام بكتاب مع عمر ابن أمية الضمري هو نجاشي آخر . وحقق ذلكم العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في زاد المعاد ، ولما ذكر قول طائفة من أهل السير أن النبي عليه الصلاة والسلام بعث عمر ابن أمية إلى النجاشي بكتاب فأسلم علّق على ذلك بقوله : " هَكَذَا قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ ، وَلَيْسَ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ فَإِنَّ أَصْحَمَةَ النَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ هُوَ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ ، هَذَا الثَّانِي لَا يُعْرَفُ إِسْلَامُهُ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ مَاتَ مُسْلِمًا . وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ قَالَ : ((كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)) " .

قال رحمه الله تعالى : ((ودحية ابن خليفة الكلبي إلى هرقل عظيم الروم)) ؛ أي بعث عليه الصلاة والسلام دحية ابن خليفة الكلبي وهو ﷺ صحابي جليل ، وكان أحياناً يأتي جبريل على صفته ، وأيضاً كان ﷺ معروفاً بالجمال وحسن الهيئة . بعثه النبي عليه الصلاة والسلام إلى هرقل عظيم الروم .

((فقارب وكاد ولم يسلم)) ؛ النبي عليه الصلاة والسلام كتب كتاباً والإمام البخاري رحمه الله أورد نص الكتاب في صحيحه وفيه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال له في الكتاب : ((أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْتَ تَسْلَمَ، يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ)) ، وفي هذا الكتاب جمع عليه الصلاة والسلام له بين الترغيب والترهيب ، رغب في قوله : ((يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ)) ؛ هذا ترغيب عظيم وحث عظيم على الإقبال على هذا الدين ويكون ممن يؤتى أجره مرتين ، ورهب عليه الصلاة والسلام ترهيباً عظيماً بقوله : ((فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ)) يعني أتباعه من النصارى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥] فيحمل إثم الأتباع .

وبهذا يُعلم بأن الأصل في الدعوة إلى الله ﷻ أن يُجمع فيها بين الترغيب والترهيب ؛ الترغيب يحرك القلب ويسوقه إلى الفضائل والخيرات ، والترهيب يزجر الإنسان ويردعه عن المحرمات

والآثام والمنكرات . ويحتاج الإنسان إلى الأمرين معاً ، أن يُرَغَّبَ حتى يُقَدِّمَ وأن يُرَهَّبَ حتى لا يُجْجَمَ، فيُجْمَعُ له بين الترغيب والترهيب كما فعل النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في خطابه لهرقل وأيضاً في عموم دعوته ﷺ فإنه كان بشيراً ونذيراً.

قال : ((وقال بعضهم : بل أسلم ، وقد روى سنيد بن داود في تفسيره حديثاً مرسلأ فيه ما يدل على إسلامه ، وروى أبو عبيد في كتاب الأموال حديثاً مرسلأ أيضاً فيه تصريح بعدم إسلامه)) ؛ والمعروف أنه لم يُسلم . كاد - كما قال ابن كثير وغيره من المحققين في السير والمغازي - كاد وقارب ولكنه ضنَّ بملكه -أي بخل- فأثر الملك على فلاح الدنيا والآخرة وسعادة الدنيا والآخرة .

قال : ((وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، فتكبر ومزق كتابه ﷺ ، فمزقه الله وملكه كل ممزق بدعوة رسول الله ﷺ عليه بذلك)) ؛ وجاء في صحيح البخاري ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَقَهُ)) .

وجاء في بعض الروايات أن عبد الله ابن حذافة دخل إلى كسرى وتقدم إليه ومدَّ له الخطاب فمزَّق خطاب النبي عليه الصلاة والسلام ، فلما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((اللهم مزق ملكه)). ولما قرأ كسرى الخطاب ومزقه كتب إلى باذان عامله في اليمن أن أرسل إلى هذا الرجل - يعني النبي عليه الصلاة والسلام - برجلين جلدين ، جاء في بعض الروايات ينظران في خبره ، وفي بعضها يأتيان به ، فبعث باذان من اليمن رجلين جلدين إلى المدينة ليحضرا بزعمه النبي عليه الصلاة والسلام . وجاء أيضاً في بعض الروايات أن كل واحد منها حالق للحيته ومطيل لشاربه ، وهذا المنظر لم يكن معروفاً ولا مألوفاً في المدينة ، فلما جاء الرجلان إلى النبي عليه الصلاة والسلام كره أن ينظر إلى هذا المنظر المخالف للفطرة ، لأن الفطرة إعفاء للحية وقص الشارب فصداً عنهما ، فأتيا من الناحية الأخرى فصداً عنهما ثم إنه سألهما قال : من أمركما بهذا ؟ قالوا : ربنا - يعنيان كسرى- فقال عليه الصلاة والسلام : ((إن ربي أمرني بإعفاء اللحية وقص الشارب)) ثم ذكرا له فيما جاء وقال لهما : انتظرا إلى الصباح ، ولما أصبحا جاءا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال اذهبا إلى من

أرسلكما وأخبراه أن ربي البارحة قتل ربه ، فكان في تلك الليلة التي وصل فيها هذان الرجلان إلى النبي عليه الصلاة والسلام تحققت استجابة الله لنبيه عليه الصلاة والسلام بتمزيق ملكه ، فقتل كسرى ابنه في تلك الليلة ، وكان ذلك في الوقت الذي ذكره صلوات الله وسلامه عليه .

قال ابن كثير رحمه الله : ((وحاطب ابن أبي بلتعة - بعثه النبي ﷺ بكتاب - إلى المقوقس عظيم القبط ملك الإسكندرية ومصر)) ؛ وقصة إرسال حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية ومصر قبل فتح مكة .

((فقارب ولم يذكر له إسلام)) ؛ وكان منه أن قبل الكتاب ولم يرده ، وأكرم حاطبا ﷺ وأحسن له ، وأيضاً حمّله الهدايا إلى رسول الله ﷺ ؛ أرسل مارية القبطية ، وأرسل أيضاً أختها شيرين ، وأرسل غلاماً خصياً يقال له مأبور ، وأرسل أيضاً بغلة يقال لها الدُّلدل ، وبعث الهدايا والتحف للنبي عليه الصلاة والسلام . وقبل النبي عليه الصلاة والسلام منه هداياه - فتسرى عليه الصلاة والسلام مارية وأنجبت له إبراهيم ، وأهدى لحسان أختها شيرين ، وقبل البغلة وكانت معه في حنين - لكن الرجل لم يذكر له إسلام .

قال : ((وعمرو بن العاص ﷺ)) ؛ وكان ﷺ بعث عمرو في السنة الثامنة في ذي القعدة ولم يكن من الستة الذين بُعثوا في يوم واحد .

بعث ((عمرو بن العاص إلى ملكي عمان فأسلما ، وخلياً بين عمرو والصدقة والحكم بين الناس ، فرضي الله تعالى عنهما)) ؛ خليا بين عمر والصدقة : أي أتاحا لعمر بن العاص رضي الله عنهما أن يأخذ الصدقة ، وجاء في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له أولاً تدعوهم إلى التوحيد ثم تدعوهم إلى الصلاة ثم قال له ((أعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنياءهم فترد على فقراءهم ، ثم قال له وإياك وكرائم أموالهم)) ، فمعاذ كان مأموراً بجمع الصدقة وأخذها من المزكين . ففي هذا أن عمرو بن العاص أخبر ملكي عُمان بهذا الشأن فخلياً بينه وبين الصدقة أي أن يأخذ الصدقة ممن تجب عليهم .

وبعث ((سليط ابن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي باليمامة))؛ فلم يُسلم كما ذكر ذلك أهل السير . وأيضاً بعث ((شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث ابن أبي شمر

الغساني ملك البلقاء من الشام)) . وهؤلاء الستة الذين حُتموا بشجاع بعثهم النبي عليه الصلاة والسلام في يوم واحد في المحرم سنة سبع للهجرة .

((وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث الحميري)) في اليمن فقال كما جاء في كتب السير : "سأنظر في أمري" .

وبعث ((العلاء ابن الحضرمي إلى المنذر ابن ساوى العبدي ملك البحرين فأسلم)) ؛ فأقره النبي عليه الصلاة والسلام على إمرته ، وانتبه لهذه الفائدة العظيمة ؛ بعض من سبق ضنَّ بملكه فلم يُسلم ، وهذا أسلم فجمع الله له بين الإسلام وبين الإمرة التي كان عليها ، فأسلم فأقره النبي ﷺ على إمرته ، فأصبح أميراً كما كان على قومه والله ﷻ أكرمهم ومنَّ عليه بأن شرح الله صدره للإسلام وهداه لهذا الدين العظيم .

قال : ((وأرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل كليهما إلى أهل اليمن فأسلم عامة ملوكهم وسوقتهم)) . السوق : عامة الناس .

قال رحمه الله تعالى :

[فصلٌ (نوقه وخيوله ﷺ) : وكان له ﷺ من النوق : العضباء ، والجدعاء ، والقصواء . وروي عن محمد ابن إبراهيم التيمي أنه قال : إنما كان له ناقة واحدة موصوفة بهذه الصفات الثلاث ، وهذا غريب جداً حكاه النووي . وكان له من الخيل السكب . وكان أغر محجلاً طلق اليمين ، وهو أول فرس غزا عليه ، وسبحة وهو الذي سابق عليه . والمرتجز وهو الذي اشتراه من الأعرابي ، وشهد فيه خزيمة بن ثابت . وقال سهل بن سعد : كان له ثلاثة أفراس : لُرَّاز ، والظرب ، واللخيف ، وقيل بالحاء المهملة ، وقيل النحيف ؛ فهذه ستٌ ، وسابعةٌ وهي الورد ، أهداها له تميم الداري . وكانت له بغلة يقال لها الدُّلدل أهداها له المقوقس ، وحضر بها يوم حنين ، وقد عاشت بعده ﷺ حتى كان يُحشُّ لها الشعير لما سقطت أسنانها ، وكانت عند علي ثم بعده عند عبد الله بن جعفر . وكان له حمار يقال له : عفير ، بالعين المهملة ، وقيل بالمعجمة . قاله عياض . قال النووي : واتفقوا على تغليظه في ذلك . قلتُ : وأغرب من هذا كله رواية أبي القاسم السهيلي في روضه الحديث المشهور في قصة عفير أنه كلم النبي ﷺ وقال : إنه

من نسل سبعين حماراً كل منها ركبته نبي ، وأن اسمه يزيد بن شهاب ، وأنه كان يبعثه النبي ﷺ في الحاجات إلى أصحابه . وهذا شيء باطل لا أصل له من طريق صحيح ولا ضعيف إلا ما ذكره أبو محمد بن أبي حاتم من طريق منكر مردود ، ولا يشك أهل العلم بهذا الشأن أنه موضوع ، وقد ذكر هذا (أيضاً) أبو إسحاق الإسفراييني وإمام الحرمين ، حتى ذكره القاضي عياض في كتابه الشفاء استطراداً ، وكان الأولى ترك ذكره لأنه موضوع . سألت شيخنا أبا الحجاج عنه فقال : ليس له أصل وهو ضحكة [.

ثم عقد الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى هذا الفصل في ذكر نوقه ﷺ وخیوله . وذكر أنه ((كان له ﷺ من النوق العضباء ، والجدعاء ، والقصواء)) . قال : ((وروي عن محمد ابن إبراهيم التيمي أنه قال : إنما كان له ناقة واحدة موصوفة بهذه الصفات الثلاث ، قال : وهذا غريب جداً حكاه النووي)) يعني الصحيح أنها كانت ثلاث نوق : العضباء ، والجدعاء ، والقصواء .

قال : ((وكان له من الخيل السكب . وكان أغر محجلاً طلق اليمين ، وهو أول فرس غزا عليه صلوات الله وسلامه عليه)) ؛ ومعنى أغر : أي في وجهه غرة وهي البياض ، ومعنى محجلاً : أي في قوائمه بياض ، ومعنى طلق اليمين : أي ليس في يمينه تحجيل . وقد جاء في حديث رواه الترمذي وحسنه بعض أهل العلم عن أبي قتادة ؓ أن النبي ﷺ قال : ((خَيْرُ الْخَيْلِ الْأَذْهَمُ الْأَقْرَحُ الْأَزْهَمُ ، ثُمَّ الْأَقْرَحُ الْمَحْجَلُ طَلْقُ الْيَمِينِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَذْهَمَ فَكُمَيْتٌ عَلَى هَذِهِ الشَّيْءِ)) .

((وسبحة ، والمرتجز)) .

ونقل عن سهل بن سعد قال : ((كان له ثلاثة أفراس : لزاز ، والظرب ، واللخيف)) وذكر الاختلاف في ضبط اسم هذا الخيل .

وأيضاً خيلٌ رابع ذكره أن تميم بن أوس الداري أهداه للنبي عليه الصلاة والسلام . ثم ذكر البغلة التي أهداها له المقوقس ملك الإسكندرية ومصر وأنها تسمى الدلدل وأن النبي عليه الصلاة والسلام حضر بها يوم حنين ، وأنها عاشت بعد النبي عليه الصلاة والسلام

وتساقطت أسنانها وكان يُحش لها الشعر لأنها أصبحت لكبرها لا تستطيع أن تتناوله بنفسها من موضعه في الأرض .

((وكان له حمار يقال له : عفير ، بالعين المهملة وقيل بالمعجمة . قاله عياض . وقال

النووي : واتفقوا على تغليظه في ذلك)) ؛ يعني الصواب أنه عفير بالعين المهملة .

وكان عليه الصلاة والسلام يركب الحمار مع وجود مركوبات في زمانه أفضل مثل الخيل وهذا من تواضعه ﷺ . وكان أيضا ﷺ يُردف من أصحابه معه ولاسيما إذا كان الحمار يُطبق ذلك ، وأحد العلماء المتقدمين أفرد رسالة وهي مطبوعة بعنوان : « من أردفهم النبي ﷺ معه على الحمار » ؛ فأردف جماعة من الصحابة ، وكان أيضا يستغل إردافه لهم ولاسيما صغار الصحابة بالوعظ والتوجيه والتنبيه . قال مُعَاذُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ((كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ ، فَقَالَ : يَا مُعَاذُ ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ ؟ قَالَ : لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَبَّلُوا)) . هذا الحديث سمعه معاذ ابن جبل من النبي عليه الصلاة والسلام وهو رديف النبي عليه الصلاة والسلام على حمار ؛ فهذا من تواضعه عليه الصلاة والسلام .

وأيضاً فيه دلالة أخرى أشرت إليها في غير مناسبة ألا وهي : هوان الدنيا على الله ؛ لأن هذا أكرم عباد الله عند الله ﷻ وأفضلهم وأعلاهم منزلة وأعلاهم مكانة وكان يركب على الحمار !! ولولا هوان الدنيا على الله لكان له ﷺ أفضل مركوب كما أن له في الجنة أعلى المنازل وأرفع الدرجات ، فهو عليه الصلاة والسلام في منزلة في الجنة لا تنبغي لأحد من عباد الله إلا واحداً هو نبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

قال ابن كثير : ((وأغرب من هذا كله رواية أبي القاسم السهيلي في روضه - يعني كتابه الروض الأنف - الحديث المشهور في قصة عفير أنه كلم النبي عليه الصلاة والسلام)) ؛ يعني أن هذا الحمار الذي اسمه عفير خاطب النبي عليه الصلاة والسلام .

((وقال - أي الحمار - إنه من نسل سبعين حماراً كلٌّ منها ركبه نبي ، وأن اسمه يزيد ابن شهاب ، وأنه كان يبعثه النبي ﷺ في الحاجات إلى أصحابه)) ؛ يعني يقول اذهب إلى

فلان وقُل له كذا وكذا وأن الحمار كان يذهب ويقول ذلك ، وهذا كلام هرطقة ولا أصل له ولا أساس له ولم يثبت بإسناد صحيح ، بل اتفق أهل العلم والدراية بحديث النبي ﷺ على بطلان هذا الحديث وأنه لا يصح إطلاقاً عن رسول الله ﷺ فلا يُعْتَر بإيراده في بعض الكتب التي لا عناية لها بالحديث وتميز صحيحة من ضعيفه وصحيحه من سقيم ، أو أيضاً بكتب الطريقة الذين يكثر في طرقهم الخرافة والضلال والأشياء الكذب على رسول الله ﷺ .

قال ابن كثير : ((وهذا شيء باطل لا أصل له من طريق صحيح ولا ضعيف إلا ما ذكره أبو محمد بن أبي حاتم من طريق منكر مردود)) ؛ وابن الجوزي رحمه الله في كتابه الموضوعات أورد هذا الحديث من جملة الأحاديث الموضوعة وقال : " هذا الحديث موضوع " ، وذكر كلمة شديدة فقال : " هذا الحديث موضوع فلعن الله واضعه ، فإنه لم يقصد إلا القدح بالإسلام والاستهزاء به " .

قال ابن كثير : ((ولا يشك أهل العلم بهذا الشأن أنه موضوع ، وقد ذكر هذا أيضاً أبو إسحاق الإسفراييني وإمام الحرمين الجويني ، حتى ذكره القاضي عياض في كتابه الشفاء استطراداً)) ؛ وهذا غلط كما قال ابن كثير ((وكان الأولى ترك ذكره لأنه موضوع)) ؛ فلا يُذكر مثل هذا الحديث إلا على سبيل القدح فيه وبيان وضعه والتحذير من روايته ، أما أن يُذكر هكذا استطراداً على أنه حديث من أحاديث النبي ﷺ فهذا لا يصح لأنه حديث غير صحيح .

وابن كثير يقول : ((سألت شيخنا أبا الحجاج عنه)) أي عن هذا الحديث ؛ وابن كثير كما أشرت سابقاً هو زوج ابنة شيخه أبي الحجاج المزني رحمه الله وكان ملازماً له واستفاد كثيراً من علمه ، وكان رحمه الله تعالى إماماً متمكناً في الحديث وعلومه .

((فقال : ليس له أصل هو ضحكة)) ؛ يعني كلام ساقط وكلام سقيم ومن يرويهِ يروي ضحكة ، يعني يروي كلاماً ساخراً ليس من الكلام اللائق بمقام النبوة وبمكانة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

الشاهد أن هذا الكلام لا يصح ولا تحل روايته ولا نقله إلا على وجه التحذير منه وبيان أنه مكذوب على رسول الله ﷺ .

قال رحمه الله تعالى :

[فصلٌ : كان له ﷺ في وقت عشرون لقحة ومائة من الغنم . ومن آلات الحرب : ثلاثة أرماح ، وثلاثة أقواس ، وستة أسياف ، منها ذو الفقار ، تنقله يوم بدر ، ودرعان ، وترس ، وخاتم ، وقدح غليظ من خشب ، وراية سوداء مربعة ، ولواء أبيض وقيل : أسود] .

ثم عقد رحمه الله هذا الفصل قال : ((وكان له ﷺ في وقت عشرون لقحة)) ؛ لقحة : مفرد لقاح وهي ذات الدّر من النوق التي هي فيها الحليب وغزيرة اللبن ، فكان له ﷺ في وقت عشرون لقحة ، ومئة من الغنم .

قال رحمه الله : ((وله من آلات الحرب : ثلاثة أرماح)) أرماح : جمع رمح .

((وثلاثة أقواس)) جمع قوس .

((وستة أسياف)) جمع سيف .

((منها ذو الفقار ، تنقله يوم بدر)) أي من الغنائم التي كانت للمسلمين في غزوة بدر .

((ودرعان)) مثنى درع .

((وترس)) .

((وخاتم)) ؛ والخاتم مرّ معنا - والحديث في صحيح البخاري - أن النبي عليه الصلاة والسلام قيل له إن الملوك لا يقبلون كتاباً إلا إذا كان محتوماً عليه ؛ فاتخذ عليه الصلاة والسلام خاتماً من فضة نقشه محمد رسول الله ﷺ .

((وقدح غليظ من خشب ، وراية سوداء مربعة ، ولواء أبيض وقيل : أسود)) .فهذه بعض الأشياء التي كانت للنبي عليه الصلاة والسلام .

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

..*